

أوصاف وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد في ضوء القرآن الكريم د. فهد بن متعب الدوسري

أوصاف وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد في ضوء القرآن الكريم

- فهد بن متعب بن مبارك الدوسري.

- د. فهد بن متعب بن مبارك الدوسري
- أستاذ مساعد في قسم القرآن الكريم وعلومه - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- حصل على درجة الماجستير من قسم القرآن الكريم وعلومه - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته: (ترجيحات البغوي في معالم التنزيل - جمعاً ودراسة).
- حصل على درجة الدكتوراه من قسم القرآن الكريم وعلومه - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته: (أقوال أبي عبيد القاسم بن سلام في التفسير - جمعاً ودراسة).

أوصاف وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد في ضوء القرآن الكريم د. فهد بن متعب الدوسري

بسم الله الرحمن الرحيم المقدمة

الحمد لله القائل: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (١١٥) فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿ [المؤمنون: 115 – 116].
وصلّى الله وسلّم على نبيه محمد القائل: (الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك)^(١).

وبعد:

فإن الله – عز وجل – لم يخلق خلقه عبثاً، ولم يتركهم سدى، وجعل الدنيا لهم دار ابتلاء واختبار، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَهِيَطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿ (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴾ (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِثَابِتِ رَبِّهِ وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿ [طه: 123 – 127]. ثم كتب الموت عليهم جميعاً، قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: 185].

والإيمان بيوم القيامة ركن من أركان الإيمان الستة كما جاء في حديث عمر بن الخطاب (ت23هـ) – رضي الله عنه – الطويل، وفيه أن جبريل – عليه السلام – سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر،

(1) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب (الجنة أقرب لأحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك) الرقم (6488) 127/8.

وبالقدر خيره وشره⁽¹⁾.

وقد ورد ذكر الآخرة وما فيها من أوصاف العباد وأحوالهم في آيات كثيرة من كتاب الله عز وجل.

وجاءت في آيات مخصوصة من القرآن الكريم أوصاف وأحوال لوجوه الناس في يوم الحشر والحساب، وهي آيات تبرز مصير الأتقياء السعداء، وتكشف عن مآل العصاة الأشقياء.

وهذا البحث المتواضع يحاول جمع الآيات التي جاء فيها ذكر لوصف من أوصاف وجوه العباد في ذلك اليوم العظيم أو شيء مما يصيبها، ثم دراسة هذه الآيات دراسة موجزة للكشف عن شيء من معانيها وبيان بعض دلالاتها وعظمتها.

وعنوان هذا البحث: (أوصاف وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد في ضوء القرآن الكريم)

ولم أجد بعد البحث والتأمل من درس هذا الموضوع بالطريقة التي درسته بها، ولم أفد على بحث يحمل ذات العنوان، وإنما وجدت بعد فراغي منه بحثاً محكماً للدكتور : فايز بن حبيب الترجمي بعنوان (ما ورد في الكتاب فيما ينال وجوه الظالمين من العذاب) نشرته مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية في عددها الحادي عشر، وهو يتناول جزئية من الجزئيات التي تناولها هذا البحث، والبحثان مكملان لبعضهما، ولا يغني أحدهما عن الآخر.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة.

التمهيد.

المبحث الأول: أوصاف الوجوه يوم القيامة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أوصاف وجوه الأتقياء الطائعين (السعداء).

الوصف الأول: البياض، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا

الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: 107].

الوصف الثاني: السلامة من القتر والذلة، وهو ما جاء في قوله

(1) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب (سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام) الرقم (50) 114/1 ، ومسلم في الإيمان، باب (الإيمان والإسلام والإحسان) الرقم (9-8) 37-36/1.

أوصاف وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد في ضوء القرآن الكريم د. فهد بن متعب الدوسري

تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: 26].

الوصف الثالث: النضارة، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ﴾ [٢٢] إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿[القيامة: 22 – 23].

وقوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: 24].
الوصف الرابع: الإسفار والضحك والاستبشار، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۖ﴾ [٣٨] ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿[عبس: 38 – 39].

الوصف الخامس: النعومة، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۖ﴾ [الغاشية: 8].

المطلب الثاني: أوصاف وجوه العصاة المعاندين (الأسقياء):
الوصف الأول: السواد، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: 106].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: 60].

الوصف الثاني: العبوس، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۖ﴾ [القيامة: 24].

الوصف الثالث: المغبرة التي علتها القتر، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۖ﴾ [٤٠] تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿[عبس: 40 – 41].

الوصف الرابع: الخشوع، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۖ﴾ [الغاشية: 20].

المبحث الثاني: ما يصيب وجوه الخاسرين:

المطلب الأول: ضرب الملائكة وجوههم، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ﴾ [الأنفال: 50]. وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ﴾ [محمد: 27].

المطلب الثاني: غشيان وجوههم الذلة والسواد، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: 27].

المطلب الثالث: الحشر على الوجوه في النار فتغشاها وتحرقها، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِّنَ قِطْرَانٍ وَتَعْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: 50].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُم أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ يُنصَرُونَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمٌ وَأَبْكَامٌ وَصُمٌّ﴾ [الإسراء: 97].

وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَقَقًا﴾ [الكهف: 29].

وقوله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الأنبياء: 39].

وقوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: 104].

أوصاف وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد في ضوء القرآن الكريم د. فهد بن متعب الدوسري

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 34].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: 90].

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَنْتَقِي وَجْهَهُ سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: 24].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْجَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: 48].

المطلب الرابع: تقليب الوجوه في النار، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [الأحزاب: 66].

المطلب الخامس: ظهور المساءة على وجوههم، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ [الملك: 27].

الخاتمة.

ثبت المصادر والمراجع.

وقد سلكت في بحثي المنهج الموضوعي، وقمت باتباع المنهج العلمي المتبع في كتابة هذه البحوث العلمية وفق التالي:

- عزو الآيات إلى سورها، وكتابتها بالرسم العثماني.
- تخريج الأحاديث من مصادرها، والحكم عليها إذا لم تكن في الصحيحين.

- عزو النقول والأقوال إلى مصادرها الأصلية.

- الضبط بالشكل لما يحتاج من النصوص.

هذا والله أسأل التوفيق والتسديد والإخلاص، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد الوجه : أهميته ، ومكانته، وآثار ذكر أوصافه وما يصيبه يوم المعاد

يُعد الوجه أحد أهم أجزاء الجسم، ويحوي أهم الحواس، وبه يتميز الإنسان عن غيره.
قال أهل اللغة: الوجه معروف، والجمع: وجوه، وأجوه.
وهو ما يواجهك من الرأس، وفيه العينان والفم والأنف والأذنان⁽¹⁾.

يقول ابن فارس (ت:395هـ): "الواو والجيم والهاء: أصل واحد يدل على مقابلة لشيء، والوجه مستقبل لكل شيء" ⁽²⁾.

وقد جاء في القرآن الكريم ذكر للعديد من أوصاف وأحوال وجوه العباد - مؤمنهم وكافرهم، مطيعهم وعاصيهم - يوم المعاد؛ وما ذاك إلا لأهمية الوجوه، فهي عنوان الإنسان، وهي التي تقصح عن ذاته، وتدل عليه، فالبشر يتشابهون أجساداً ويفترقون وجوهاً، فالله - عز وجل - قد جعل لكل إنسان صورته التي يُعرف بها بين الخلق؛ ولهذا كان للوجه شأن عظيم، ومنزلة كبيرة في موقف العرض والحساب، وما يلقاه العبد هناك من نعيم أو عذاب، وعليه تنطبع آثار الكرامة والخير والفرح، وكذلك آثار العذاب والهم والغم.
والوجه أعز الأعضاء على الإنسان كما قال الشاعر:
نُعرضُ للسيوف إذا التقينا وجوهاً لا تعرض للطام⁽³⁾
ففي هذا البيت ما يبرهن على مكانة الوجه، وعلو منزلته عند صاحبه.

ومن المعلوم أن القلب هو موضع الإيمان، والرأس هو موضع

(1) انظر: مادة (وجه) في الصحاح للجوهري 2/268، ولسان العرب لابن منظور: 555/13، والقاموس المحيط للفيروزآبادي: ص 1620، والمعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرون: 2/1015.

(2) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: 6/88 (وجه).

(3) البيت للحريش بن هلال القريني، انظر ديوان الحماسة لأبي تمام: 1/36. ونسبه صاحب التذكرة السعدية للحريش ثم قال: وقيل: إنه للعباس بن مرداس السلمي، انظر التذكرة السعدية للعبدي: ص 4.

أوصاف وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد في ضوء القرآن الكريم د. فهد بن متعب الدوسري

الفكر، وأثر الإيمان يظهر في الوجه؛ فلهذا خص الله تعالى هذين العضوين بظهور آثار الثواب والعقاب فيهما، قال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: 24] ، وقال تعالى: ﴿وَوُجُوهُ يُؤْمِنُونَ بِأَسْرَةٍ﴾ [القيامة: 24] ، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى أَلْأَفْعَدَةِ﴾ [الهمزة: 5 - 7].

فالوجه يوم القيامة تحشر بلون القلوب، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: 9]، أي يجعل ما في الضمائر على الظواهر⁽¹⁾. وما ذكرت هذه الأوصاف لوجوه السعداء والأشقياء وما يصيبها من نعيم أو عذاب إلا لترغيب المؤمن المطيع، وترهيب الكافر العاصي، فالله عز وجل يخبر في عدة آيات من القرآن الكريم عن حال يوم القيامة وما فيه من آثار الجزاء بالعدل والفضل والإنصاف من رب البريات، ويتضمن ذلك الترغيب والترهيب الموجب للخوف والرجاء، فجاء وصف وجوه أهل السعادة والخير بأفضل وأحسن الأوصاف، وهم أهل الائتلاف والاعتصام بحبل الله، أما وجوه أهل الشقاوة والشر، أهل الفرقة والاختلاف، فهؤلاء تأتي وجوههم في أشنع صورة، وفي أسوأ منظر، ويصيبها من أصناف العذاب ما لا تستطيع احتماله بالإضافة لما في قلوبهم من الخزي والهوان والذلة والفضيحة، أما أهل السعادة فقد أبى يرضت ونعمت وجوههم لما فيها من البهجة والسرور والحبور والنعيم⁽²⁾.

وفيما يلي ذكر لأبرز أوصاف وجوه العباد وما يصيبها يوم العرض والحساب:

(1) أشار إلى شيء من هذا المعنى: النيسابوري في غرائب القرآن: 236/2.

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي: ص 142.

المبحث الأول: أوصاف الوجوه يوم القيامة وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أوصاف وجوه الأتقياء الطائعين (السعداء):

الوصف الأول: البياض .

الوصف الثاني: السلامة من القتر والذلة.

الوصف الثالث: النضارة .

الوصف الرابع: الإسفار والضحك والاستبشار .

الوصف الخامس: النعومة.

المطلب الثاني: أوصاف وجوه العصاة المعاندين (الأشقياء):

الوصف الأول: السواد .

الوصف الثاني: العبوس .

الوصف الثالث: المغبرة التي علتها القترة .

الوصف الرابع: الخشوع .

أوصاف وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد في ضوء القرآن الكريم د. فهد بن متعب الدوسري

المطلب الأول: أوصاف وجوه المتقين الطائعين (السعداء)
الوصف الأول: البياض .

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَبِإِذْنِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: 107].

بيّن الله - عز وجل - في هذه الآية الكريمة وصفاً من أوصاف وجوه السعداء يوم القيامة وهو البياض، فتأتي وجوههم في ذلك اليوم ببيضاء مشرقة مستبشرة بوعد الله عز وجل لها⁽¹⁾.

وقد ذهب جملة من المفسرين إلى أن البياض المشار إليه في الآية إنما هو كناية عن ظهور البهجة والسرور .
يقول أهل المعاني: ابيضاض الوجوه: إشراقها واستبشارها وسرورها بعملها وثواب الله عز وجل .⁽²⁾

ويقول الراغب الأصفهاني (ت: 503 هـ): " فابيضاض الوجوه عبارة عن المسرة " ⁽³⁾.

فبياض الوجوه وسواده كنايةتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه ⁽⁴⁾.

ومن المفسرين من ذهب إلى أن البياض والسواد في الآية محمول على حقيقته في تـ لَوْن الوجه، فالجمهور على أن ابيضاض الوجوه واسودادها على حقيقة اللون ⁽⁵⁾.

فالبياض والسواد بياض وسواد حقيقيان يوسم بهما المؤمن والكافر يوم القيامة، وهما بياض وسواد خاصان، لأن هذا من أحوال الآخرة فلا داعي لصرفه عن حقيقته ⁽⁶⁾.

(1) انظر: جا مع البيان للطبري: 388/3 ، والنكت والعيون للماوردي: 415/1، ومعالم التنزيل للبغوي: 88/2، ومفاتيح الغيب للرازي: 148/8 ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: 92/2.

(2) انظر: معاني القرآن للنحاس: 456/1، ونصّ الثعلبي في الكشف والبيان على أن هذا قول أهل المعاني: 125/3.

(3) معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب: ص 65.

(4) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود: 69/2.

(5) انظر: البحر المحيط لأبي حيان: 17/3.

(6) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: 185/3.

أوصاف وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد في ضوء القرآن الكريم د. فهد بن متعب الدوسري

والمتمأل في أقوال المفسرين لا يجد بينها تعارضاً أو تضاداً، فمن الممكن أن وجوه السعداء في يوم القيامة بيضاء بياضاً حقيقياً مع ما يعلوها من البهجة والسرور والفرح، والعكس مع وجوه الأشقياء.

الوصف الثاني: السلامة من القتر والذلة.

قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: 26].

بيّن الله عز وجل في هذه الآية أنه أعد لعباده الذين أحسنوا عبادته في الدنيا الجنة وزيادة عليها وهو النظر إلى وجهه الكريم⁽¹⁾.

ثم بيّن سبحانه وصفاً من أوصاف وجوه الفائزين يوم القيامة وهو السلامة من القتر والذلة.

والقتر هو الغبار، وهو جمع (قترّة) ومنه قول الشاعر:
مُتَوَجِّجٌ بِرَدَاءِ الْمُلْكِ يَتَّبَعُهُ
وَالْقَتَرُ⁽²⁾ مَوْجٌ تَرَىٰ فَوْقَهُ الرِّايَاتِ

والذلة: الهوان والخيبة⁽³⁾.

فتأتي وجوههم سالمة مما يعكر صفوها فلا يغشاها كآبة، ولا كسوف⁽⁴⁾.

وعن ابن عباس (ت: 67هـ) رضي الله عنهما: أن القتر: "سواد

(1) وتفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله عز وجل ثابت في الصحيح من حديث

صهيب رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ

أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى

مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، قالوا: ما هذا

الموعود؟ ألم يثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار؟

قال: فيرفع الحجاب فينظر إلى وجه الله عز وجل، قال: فما أعطوا شيئاً أحب

إليهم من النظر إليه). الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب

(إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى) الرقم (181-182).

163/1.

(2) البيت للفرزدق، انظر ديوانه ص 290.

(3) ذكرهما الماوردي في النكت والعيون: 433/2.

(4) انظر: جامع البيان للطبري: 553/6، ومعالم التنزيل للبغوي: 130/4.

الوجوه" (1).

وذكر ابن عطية (ت: 543هـ) قولاً جمع فيه بين من فسّر القتر بالغبار ومن فسّره بالسواد أو بسواد الوجه: "القتر: الغبار المسود" (2).

ويقول الزمخشري: (ت: 538هـ): "« قتر »: أي غبرة فيها سواد" (3).

والذي يخلص من تأمل كلام الأئمة والاستعمال: أن القتر لون يغشى جلدة الوجه من شدة البؤس والشقاء والخوف والحزن، وهو من آثار تهيج الكبد من ارتجاج الفؤاد خوفاً وتوقعاً (4).

ومن هنا يتبين أن المؤمن الفائز يوم القيامة يندفع عنه محذور غشيان وجهه القتر والذلة، فإله عز وجل يتولى في ذلك اليوم صيانة وجوه عباده المتقين.

والغرض من نفي هاتين الصفتين نفي أسباب الخوف والحزن والذل عنهم، ليعلم أن نعيمهم الذي ذكره الله تعالى خالص غير مشوب بالمكروهات، وأنه لا يجوز عليهم ما إذا حصل غير صفحة الوجه، ويزيل ما فيها من النضارة والطلاقة، ثم بين أنهم خالدون في الجنة لا يخافون الانقطاع (5).

الوصف الثالث: النضارة .

قال تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۖ ﴾ [القيامة: 22 -

23]، وقوله تعالى: ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ [المطففين: 24]. وصف الله - عز وجل - وجوه السعداء يوم القيامة بالنضارة، وهي مقرونة برؤية الله تعالى، والوجوه الناضرة هي الوجوه الحسنه،

(1) انظر: جامع البيان للطبري: 553/6، والدر المنثور للسيوطي: 659/7.

(2) المحرر الوجيز لابن عطية: 352/3.

(3) الكشف للزمخشري: 132/3، وانظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود: 138/4.

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 299/8، والتحرير والتنوير لابن عاشور: 64/11.

(5) انظر: مفاتيح الغيب للرازي: 64/17.

أوصاف وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد في ضوء القرآن الكريم د. فهد بن متعب الدوسري

الناعمة، المستبشرة، المسرورة، النقية البيضاء⁽¹⁾.

والنصرة كالنضارة، قال تعالى: ﴿نَصْرَةَ النَّعِيمِ﴾ أي رونقة،

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْهُمْ نَصْرَةٌ وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: 11]⁽²⁾.

والنصرة: هي النعمة والبهجة في اللغة⁽³⁾.

يقول الطبري (ت: 310هـ) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

نَاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾: "أي حسنة جميلة من النعيم، يقال من ذلك: نَضُر وجه فلان: إذا حسن من النعمة، ونَضُر الله وجهه: إذا حسنه كذلك"⁽⁴⁾.

وقد كئى الله - عز وجل - بنصرة الوجوه عن فرح أصحابها ونعيمهم؛ لأن ما يحصل في النفس من الانفعالات يظهر أثره⁽⁵⁾.

ثم وعد الله - سبحانه - أصحاب هذه الوجوه بوعده صدق وحق

في قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ وظاهر لفظ: ﴿نَاطِرَةٌ﴾ أنه من نظر بمعنى: عاين ببصره، إعلاناً بتشريف تلك الوجوه أنها تنتظر إلى الله تعالى نظراً خاصاً لا يشاركها فيه من يكون تحت رتبته، وهذه الرؤية ثابتة بصريح القرآن وصحيح السنة⁽⁶⁾.

يقول ابن كثير (ت: 774هـ): "ثم قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾

(1) رويت هذه التفسيرات عن جماعة من الصحابة والتابعين، كابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد وعكرمة والحسن والضاحك. انظر: جامع البيان للطبري: 342/12 - 343، والدر المنثور للسيوطي: 109/15 - 111.

(2) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: ص 517.

(3) انظر: معاني القرآن للفراء: 212/3، ومعاني القرآن للأخفش: 518/2.

(4) جامع البيان للطبري: 342/12، وقد وافقه في تفسيره للآية جماعة من المفسرين كالسمعاني في تفسيره: 106/6، والبغوي في معالم التنزيل: 284/8، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: 96/19، والشوكاني في فتح القدير: 449/5.

(5) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: 326/29.

(6) ثبت ذلك في أحاديث صحيحة، انظر على سبيل المثال: صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب (فضل صلاة العصر) 145/1 وما بعدها، ومسلم في كتاب الصلاة، باب (فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما) 113/2 وما بعدها.

من النضارة، أي حسنة بهيئة مشرقة مسرورة، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: تراه عياناً، كما رواه البخاري (ت: 256هـ) رحمه الله في صحيحه: "إنكم سترون ربكم عياناً" (1). وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله - عز وجل - في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح، من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها (2).

الوصف الرابع: الإسفار والضحك والاستبشار .

قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۖ ضَآكِرَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: 38 - 39].

جاء وصف الله تعالى لوجوه المؤمنين بوصف مقارب لما وصفها به في سورة القيامة والمطففين حيث وصفها - سبحانه - بالإسفار وهو الإشراق (3)، ثم بالضحك والاستبشار، وإنما اتصفت بهذا الوصف لما أعطيت من الخير والكرامة (4).

فوجوه المؤمنين يوم القيامة تأتي مسرورة فرحة، وإنما ذلك من سرور قلوبهم (5).

وأسند الضحك والاستبشار إلى الوجوه لأنها محل ظهوره، فهو من إسناد الفعل إلى مكانه (6).

ففي ذلك اليوم العظيم تأتي وجوه المؤمنين الذين قد رضي الله

(1) سبق تخريجه قريباً.

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 279/8.

(3) هذا التفسير مروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وابن زيد، انظر: جامع البيان للطبري: 454/12، والدر المنثور للسيوطي: 256/15، وحكاها الماوردي عن السدي في النكت والعيون: 209/6.

(4) يقول مقاتل بن سليمان: يعني فرحة بهجة، ثم نعتها فقال: ﴿ضَآكِرَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ لما أعطيت من الخير والكرامة، انظر تفسير مقاتل: 454/3، وانظر: معاني القرآن للفراء: 239/3.

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 327/8، وبنحو هذا القول قال السمعاني في تفسيره: 163/6، والبعوي في معالم التنزيل: 340/8، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: 196/19، وأبو حيان في البحر المحیط: 122/8، والشوكاني في فتح القدير: 512/5، والسعدي في تيسير الكريم الرحمن: ص 911.

(6) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: 121/30.

أوصاف وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد في ضوء القرآن الكريم د. فهد بن متعب الدوسري

عنهم مشرقة مضيئة، يقال: أسفر وجه فلان إذا حسن، ومنه: أسفر الصبح: إذا أضاء، وكل مضيء فهو مُسفر - إلى أن قال - ﴿صَاحِكَةٌ﴾ أي من السرور بما أعطاه الله من النعيم والكرامة، ﴿مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ لما ترجوا من الزيادة⁽¹⁾.

الوصف الخامس: النعومة .

قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ [الغاشية: 8]. ذكر - سبحانه - في هذه الآية وصفاً لوجوه السعداء وهو الوصف بالنعومة وهي الفرحة والبهجة والحسن⁽²⁾، وهو وصف مقارب للأوصاف السابقة التي جاءت في وصف وجوه أهل الجنة. وقد يكون المراد من قوله تعالى: ﴿نَّاعِمَةٌ﴾ أي: متنعمة، من النعيم⁽³⁾.

فتأتي وجوه المؤمنين الأتقياء ناعمة بتنعيم الله أهلها في جناته ورضوانه، وهم أهل الإيمان بالله⁽⁴⁾.
فإن عز وجل لما ذكر وعيد الكفار، أتبعه بـ شرح أحوال المؤمنين، فذكر وصف أهل الثواب أولاً، ثم وصف دار الثواب ثانياً، أما وصف أهل الثواب فبأمرين:

أحدهما: في ظاهرهم وهو قوله تعالى: ﴿نَّاعِمَةٌ﴾ أي ذات بهجة وحسن، كقوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: 24] أو متنعمة، ﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾.

(1) انظر: جامع البيان للطبري: 454/12.
(2) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: 479/3، ومعالم التنزيل للبيهقي: 409/8، والكشاف للزمخشري: 364/6/5، والتسهيل لابن جزي: ص 2602، والتحرير والتنوير لابن عاشور: 265/3.
(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 31/20، والتحرير والتنوير لابن عاشور: 265/3.
(4) انظر: جامع البيان للطبري: 553/12.

والثاني في باطنهم وهو قوله تعالى: ﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾...⁽¹⁾.
يقول ابن كثير (ت: 774هـ): " لما ذكر حال الأشقياء ذكر حال
السعداء فقال: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ أي يعرف النعيم فيها"⁽²⁾.
وهذه الأوصاف للوجوه من النضرة والإسفار والضياء
والنعومة إنما هي لوجوه المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه،
فاستحقوا هذا التكريم جزاء صنيعهم وأعمالهم الصالحة في الدنيا، قال
تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: 60].

(1) انظر: مفاتيح الغيب للرازي: 140/31، وفتح القدير للشوكاني: 537/5.

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 386/8.

أوصاف وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد في ضوء القرآن الكريم د. فهد بن متعب الدوسري

المطلب الثاني: أوصاف وجوه العصاة المعاندين (الأشقياء)

الوصف الأول: السواد .

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: 106].

وصف الله - عز وجل - وجوه الأشقياء يوم القيامة بأوصاف متعددة، منها الوصف بالسواد والذي جاء في هذه الآية الكريمة من سورة آل عمران وفي آية سور الزمر عند قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: 60].

وذلك مما أحاط بهم من غضب الله ونقمته، فتأني وجوههم مسودةً كأنها الليل البهيم يعرفهم بذلك أهل الموقف، فالحق أبلج كأنه الصبح، فكما سودوا وجه الحق بالكذب، سود الله وجوههم جزاء من جنس عملهم⁽¹⁾.

والمراد بأسودادها : حزنها وكآبتها وكسوفها بعملها وبعذاب الله تعالى⁽²⁾.

ووصف وجه المعاقب بالسواد لانكسافه بالحزن⁽³⁾.

ويقول ابن عطية (ت: 543 هـ): " وظاهر الآية - أي آية سورة الزمر - أن لون وجوههم يتغير ويسود حقيقة"⁽⁴⁾.

وقد جعل الله اسوداد الوجوه يوم القيامة علامة على سوء المصير، كما جعل بياضها علامة على حسن المصير⁽⁵⁾.

(1) انظر: جامع البيان للطبري: 387/3 ، والنكت والعيون للماوردي: 415/1، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 240/15 ، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي: ص 728.

(2) انظر: الكشف والبيان للثعلبي: 125/3. والتسهيل لابن جزي : ص 1855 .

(3) انظر: النكت والعيون للماوردي: 415/1.

(4) المحرر الوجيز لابن عطية: 485/5.

(5) انظر: البحر المحيط لأبي حيان : 17/3 ، والتحرير والتنوير لابن عاشور:

ولا مانع من اسوداد الوجه الحقيقي يوم القيامة مع ما يعلوه من الكآبة والحزن والغم، نعوذ بالله من سوء الموقف في ذلك اليوم.
الوصف الثاني: العبوس .

قال تعالى: ﴿وَوُجُوهُ يُؤْمِنُ بِآيَةٍ﴾ [القيامة: 24].

مما جاء في وصف وجوه الأشقياء يوم القيامة وصفها بالباسرة، وقد ورد عن السلف تفسيرات لهذا الوصف، فمنهم من قال: أي كاشرة، ومنهم من قال: كالحة، ومنهم من فسرها بالمتغيرة⁽¹⁾.

وجاء عند المفسرين تفاسير مقاربة لهذه العبارات، فمنهم من قال: كالحة عابسة⁽²⁾، ومنهم من قال: عابسة كالحة مغبرة مسودة⁽³⁾.

يقول الطبري (ت: 310 هـ): " يقول تعالى ذكره: ووجوه يومئذ متغيرة الألوان، مسودة كالحة"⁽⁴⁾.

وما جاء في الآية إنما هو إشارة إلى حالهم قبل الانتهاء بهم إلى النار، فخص لفظ البُسر تنبيهاً أن ذلك مع ما ينالهم من بعد يجري

مجري التكلف، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿تُظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾⁽⁵⁾.

والباسر: الشديد العبوس، والمعنى: أنها عابسة كالحة قد أظلمت ألوانها وهدمت آثار السرور والنعمة منها لما أدركها من الشقاء واليأس من رحمة الله...

والعذاب نازل وهو قوله تعالى: ﴿تُظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ والظن هنا بمعنى اليقين⁽⁶⁾.

الوصف الثالث: المغبرة التي علتها القتره .

= 119/24.

(1) فسرها بالكاشرة: مجاهد، وبالكالحة: قتادة، وبالمتغيرة: السدي ومقاتل بن سليمان، انظر: جامع البيان للطبري: 344/12، والدر المنثور للسيوطي: 134/15، وتفسير مقاتل: 423/3.

(2) انظر: تفسير السمعاني: 108/6، وفتح القدير للشوكاني: 450/5.

(3) انظر: معالم التنزيل للبغوي: 285/8، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: 281/8.

(4) جامع البيان للطبري: 344/12.

(5) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: ص 43.

(6) انظر: مفاتيح الغيب للرازي: 202/30، ومدارك التنزيل للنسفي: 491/3.

أوصاف وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد في ضوء القرآن الكريم د. فهد بن متعب الدوسري

قال تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: 40] - [41].

وصف الله - عز وجل - في هذه الآية وجوه الأشقياء يوم القيامة بوصفين هما: الغَبَرَةُ والقَتَرَةُ، وفي كلا الوصفين ما يشعر بغشيان الذلة والهوان وجوه العصاة في ذلك الموقف⁽¹⁾. وهما وصفان إذا اجتماعا في الوجه دلاً على وحشة وكآبة وحزن شديد.

قال المفسرون: ولا يُرى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه⁽²⁾.

والغَبَرَةُ: من الغبار والكُدرة، والقَتَرَةُ من السواد والظلمة⁽³⁾، وهو كناية عن تغيير الوجه للغم⁽⁴⁾.

والغَبَرَةُ بفتحتين: الغبار كله، والمراد هنا أنها معفرة بالغبار إهانة من أثر الكبوات، ودل حرف الجر في (عليها) على أن الغبار نزل على وجوههم حتى غطاها، لأن الغبار ينحط إلى الأرض. والقَتَرَةُ بفتحتين: دخان يغشى الوجه من الكرب والغم⁽⁵⁾.

فيكون معنى الآية: ﴿وَوُجُوهٌ﴾ الأشد قياء ﴿يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾

تَرْهَقُهَا أي تغشاها ﴿قَتَرَةٌ﴾ فهي سوداء مظلمة مدلهمة، قد أيست من كل خير، وعرفت شقائها وهلاكها، وأفاد التعبير بـ (ترهقها) الإشعار بقرب وقوع القترة على وجوههم، لأن الأصل في معنى الرهق: عجلة الهلاك⁽⁶⁾.

(1) فسرّه ابن عباس - رضي الله عنهما - بغشيان الذلة، انظر: جامع البيان للطبري: 454/12، والدر المنثور للسيوطي: 256/15.

(2) انظر: مفاتيح الغيب للرازي: 60/31.

(3) انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي: 455/5، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: 327/8.

(4) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب: ص 369.

(5) انظر: مدارك التنزيل للنسفي: 9/4، واللباب لابن عادل: ص 5211، والتحرير والتنوير لابن عاشور: 122/30.

(6) انظر: فتح القدير للشوكاني: 512/5، وروح المعاني للألوسي: 252/15، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي: ص 911.

الوصف الرابع: الخشوع .

قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ [الغاشية: 2].

جاء وصف وجوه المعاندين الأشقياء يوم القيامة في هذه السورة بالخشوع، وقد ذهب أكثر المفسرين إلى تفسير ﴿خَاشِعَةٌ﴾ بالذليلة⁽¹⁾.

فالمعنى : أي ذليلة، قد عراهم الخزي والهوان كما قال: ﴿وَلَوْ

تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ [السجدة: 12]⁽²⁾.

وأوثر الوجه بالكناية عن أصحابها هنا وفي مثل هذا المقام - دون بقية اجزاء الجسد - ؛ لأن حالة الوجوه تنبئ عن حالة أصحابها.⁽³⁾

المبحث الثاني: ما يصيب وجوه الخاسرين:

المطلب الأول: ضرب الملائكة وجوههم، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾ [الأنفال: 50]. وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾ [محمد: 27].

المطلب الثاني: غشيان الذلة والسواد وجوههم، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن

(1) روي هذا التفسير عن قتادة، ومقاتل، انظر: جامع البيان للطبري: 551/12، وتفسير ابن أبي حاتم: 3420/10، والدر المنثور للسيوطي: 381/15. ووافقهم على هذا التفسير عامة المفسرين، انظر: جامع البيان للطبري: 551/12، وتفسير السمعاني: 212/6، ومعالم التنزيل للبغوي: 407/8، وزاد المسير لابن الجوزي: ص 1540، وأنوار التنزيل للبيضاوي: 483/5، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 26/20، والبحر المحيط لأبي حيان: 346/8، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: 384/8، وفتح القدير للشوكاني: 572/5.

(2) انظر: مفاتيح الغيب للرازي: 138/31.

(3) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: 262/30.

أوصاف وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد في ضوء القرآن الكريم د. فهد بن متعب الدوسري

عَاصِرٍ كَانَمَا أَغَشِيَتْ وَجُوهَهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ [يونس: 27].

المطلب الثالث: الد شر على الوجوه في النار فتغشاها وتحرقها، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قِطْرَانٍ تَعَقَّتْ وَجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: 50].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَحْدِلْ هُمْ أَولِيَائِهِ مِنْ دُونِهِ يُنْزَلُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ عَمِيَائٌ وَبِخَامٌ وَصَمَاءٌ﴾ [الإسراء: 97].

وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 29].

وقوله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وَجُوهِهِمْ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الأنبياء: 39].

وقوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وَجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: 104].

وقوله تعالى: ﴿أَلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 34].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسِّتَةِ فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: 90].

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: 24].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: 48].

المطلب الرابع: تقلاب الوجوه في النار، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [الأحزاب: 66].

المطلب الخامس: ظهور المساءة على وجوههم، وهو ما جاء في

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِمِئْذَنُوعٍ﴾
 ﴿[الملك: 27].﴾

أوصاف وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد في ضوء القرآن الكريم د. فهد بن متعب الدوسري

المطلب الأول: ضرب الملائكة وجوههم

وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا

الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾ [الأنفال: 50].

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

وَأَدْبَرَهُمْ﴾ [محمد: 27].

ذكر الله - عز وجل - في هاتين الآيتين حالاً من أحوال وجوه
الأسقياء من الكفار والمنافقين يوم القيامة، وهو أن الملائكة يضربون
وجوههم إذا لقوهم، وأدبارهم إذا ساقوهم إلى النار⁽¹⁾.

وهاتان الآيتان وإن كانتا نزلتا في أسباب خاصة إلا أنهما
محمولتان على العموم؛ يقول ابن كثير (ت: 774 هـ) عن آية سورة
الأنفال: "وهذا السياق - وإن كان سببه وقعة بدر - ولكنه عام في حق كل
كافر؛ ولهذا لم يخصه تعالى بأهل بدر، بل قال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى

الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾ وفي سورة
القتال مثلها⁽²⁾⁽³⁾.

فالواجب حمل نصوص الوحي على العموم، فالعبرة بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب، فيكون المراد بالذين كفروا: جميع

(1) انظر: النكت والعيون للماوردي: 326/2، وزاد المسير لابن الجوزي: ص 557.

وقد جاء ذكر حال من أحوال الوجوه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَمَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: 47] إلا أن عامة المفسرين ذهبوا إلى أن هذا الحال في الدنيا قبل يوم القيامة، ومن ذكر أنه من أحوال الوجوه في الآخرة فذكر القول بصيغة التضعيف كالبغي في معالم التنزيل: 231/2، والبحث يتعلق بأحوال الوجوه يوم القيامة وما بعده فلذا لم أنطرق لهذا الحال المذكور في الآية. للاستزادة انظر: جامع البيان للطبري: 126/4، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 235/5، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: 324/2-325.

(2) يعني بها الآية (27) من سورة محمد.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 77/4، وانظر كذلك: 321/7.

الكافرين حملاً للموصول على معنى العموم⁽¹⁾.
 وضرب الملائكة للكفار يوم القيامة على الوجوه والأدبار
 محمول على حقيقته خلافاً لمن قال إن المراد به الأمام والخلف؛ فإنه
 لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل، ولا دليل هنا يصرفه عن
 ظاهره الذي هو حقيقة الوجوه⁽²⁾.
 وإنما خص الله - عز وجل - الوجوه والأدبار بالضرب لأن
 الخزي والنكال فيهما أشد⁽³⁾.

-
- (1) انظر: إرشاد الفحول للشوكاني: ص 170 ، والتحرير والتنوير لابن عاشور: 131/9.
 (2) انظر: البحر المحيط لأبي حيان: 413/4. وشرح الكوكب المنير لابن النجار: 147/2.
 (3) ذكر هذا التعليل أبو حيان في تفسيره: 413/4، ونسبه لمجاهد.

أوصاف وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد في ضوء القرآن الكريم د. فهد بن متعب الدوسري

المطلب الثاني: غشيان الذلة والسواد وجوهم

وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَانَمَا أَغَشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: 27].

يذكر الله - عز وجل - في هذه الآية حالاً من أحوال وجوه الأشقياء يوم القيامة، فالذين عملوا السيئات في الدنيا فعصوا الله بها، وكفروا به وبرسوله، يجازيهم الله تعالى على أعمالهم السيئة بمثلها من عقاب الله في الآخرة، ويغشاهم الذلة والهوان⁽¹⁾.
كما أن الله - عز وجل - يلبس وجوهم أجزاء من الليل مظلماً لفرط سوادها وظلمتها⁽²⁾.

يقول الرازي (ت: 606 هـ): " ومعنى الآية: وصف وجوهم بالسواد حتى كأنها ألبست سواداً من الليل"⁽³⁾.
فالمراد من الليل: الشديد الإظلام باحتجاب نجومه، وتمكن ظلمته، شبهت قتره وجوهم بظلام الليل⁽⁴⁾.

(1) جاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن معنى ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: أي يغشاهم ذل وشدة، انظر: جامع البيان للطبري: 554/6 ، والدر المنثور لسيوطي: 660/7.

(2) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: 90/2، وجامع البيان للطبري: 554/6، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 300/8.

(3) مفاتيح الغيب للرازي: 66/17، وانظر: البحر المحيط لأبي حيان: 119/5، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: 264/4، واللباب لابن عادل: ص 2748.

(4) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: 66/11.

المطلب الثالث: الحشر على الوجوه في النار فتغشاها وتحرقها وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قِطْرَانٍ تَعْنَىٰ وُجُوهُهُمْ النَّارُ﴾ [إبراهيم: 50].

يبيِّن الله - تعالى - في سورة إبراهيم حالاً من أحوال وجوه الخاسرين يوم القيامة مع ما ينال أجسادهم من العذاب الأليم، وهو أن الكفار يأتون يومئذ مقرنة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالقيود والأغلال، ويلبسون قمصاً من القطران، وتلفح وجوههم النار فتحرقها، وقد فعل الله ذلك بهم جزاء بما كسبوا في الدنيا⁽¹⁾.

فيكون معنى قوله تعالى: ﴿وَتَعْنَىٰ وُجُوهُهُمْ النَّارُ﴾ أي: وتعلو وجوههم النار⁽²⁾.

وإنما خص الله عز وجل الوجه لأنه أعز موضع في ظاهر بدن الإنسان، كالقلب في باطنه⁽³⁾.

وقريب من هذا الحال ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ

وُجُوهِهِمْ عَمِيًّا وَبِكَمَا وَصَّمَا﴾ [الإسراء: 97] أي ومن يضلله الله عن الحق فيخذله عن إصابته، ولم يوفق للإيمان بالله ورسوله فلم تجد لهم أولياء ينصرونهم من دون الله إذا أراد الله عقوبتهم والاستنقاذ منهم، ثم يجمعهم الله بموقف القيامة من بعد تفرقهم في القبور عند قيام الساعة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً، فيأتون عمياً لا يرون ما يسرهم، وبكماً لا ينطقون بحجة، وصماً لا يسمعون ما ينفعهم ويسعدهم⁽⁴⁾.

ويشهد لمعنى الآية من الحشر على الوجوه ما جاء في حديث

(1) انظر: جامع البيان للطبري: 486/7، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: 522/4.

(2) انظر: تفسير السمعاني: 127/3، ومعالم التنزيل للبيوي: 363/4، وزاد المسير لابن الجوزي: ص 752، وروح المعاني للآلوسي: 241/7.

(3) انظر: مدارك التنزيل للنسفي: 130/2، وانظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي: ص 382.

(4) انظر: جامع البيان للطبري: 152/8، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 290/10.

أوصاف وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد في ضوء القرآن الكريم د. فهد بن متعب الدوسري

أنس بن مالك (ت: 93هـ) رضي الله تعالى عنه أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: "إن الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة" (1).

وأصل معنى الحشر: جمع الناس من مواضع متفرقة إلى مكان واحد، والمقصود من الحشر على الوجه: الجمع بين التشويه والتعذيب؛ لأن الوجه أرق تحملاً لصلابة الأرض من الرجل (2).

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 29].

ففي هذه الآية يتوعد الله عز وجل الكفار الظالمين التاركين الحق والإيمان بالنار التي قد أحاط بها سورها، وإذا طلبوا الغوث أغيثوا بماء كالمهل وهو كل ما أذيب فبلغ الغاية من الحرارة، فإذا أراد الكافر أن يشربه وقربه من وجهه شواه حتى يسقط جلد وجهه فيه - نسأل الله السلامة والعافية- (3).

وقريب من معنى الآيات السابقة ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الأنبياء: 39] أي لو يعلم الكفار المستعجلون عذاب الله - عز وجل - ماذا أعد لهم من البلاء حين تفتح النار وجوههم وظهورهم، فلا ناصر لهم في ذلك اليوم يستنقذهم من عذاب

(1) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهمُ إِلَى جَهَنَّمَ﴾، الرقم (4760) 492/8، ومسلم في المنافقين، باب (يحشر الكافر على وجهه) الرقم (2806) 2161/4.

(2) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: 170/14.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 342/10، وتفسير القرآن العظيم لابن

(١) الله .

يقول ابن عطية (ت: 543 هـ): (وقوله: ﴿حِينَ لَا يَكْفُوتُ عَنْ
وُجُوهِهِمُ النَّارَ﴾ يريد يوم القيامة، وذكر (الوجوه) خاصة لشرفها
من الإنسان، وأنها موضع حواسه، وهو أحرص على الدفاع عنه، ثم
ذكر (الظهور) ليبين عموم النار لجميع أبدانهم) (٢).

وفي معنى الآيات السابقة قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُمْ النَّارُ وَهُمْ
فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: 104] ، فمن خفت موازين حسناته،
فرجحت بها موازين سيئاته؛ فأولئك الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من
رحمة الله، فيسفع ويحرق وجوههم لهب النار فتحرقها، وهم فيها
كالحون أي عابسون أو متقلصوا الشفاء عن الأسنان من إحراق النار
وجوههم (٣).

واللفح والنفح بمعنى واحد، إلا أن اللفح أعظم تأثيراً (٤).
وتقارب معنى هذه الآية مع الآيات السابقة ظاهر، يقول ابن
كثير (ت: 774 هـ): "﴿تَلْفَحُ وُجُوهُمْ النَّارُ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَتَعَشَى
وُجُوهُمْ النَّارُ﴾ [إبراهيم: 50] ، وقال: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ
لَا يَكْفُوتُ عَنْ وُجُوهِهِمْ﴾ [الأنبياء: 39]" (٥).

وقريب من الحال المذكورة في الآيات السابقة ما جاء في قوله
تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا
وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 34].

ففي هذه الآية يخبر الله تعالى عن سوء حال الكفار في معادهم

(1) انظر: جامع البيان للطبري: 29/9.

(2) المحرر الوجيز لابن عطية: 451/4.

(3) انظر: جامع البيان للطبري: 245/9، ومعالم التنزيل للبغوي: 430/5.

(4) انظر: زاد المسير لابن الجوزي: ص 981 ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي:

137/12.

(5) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 497/5.

أوصاف وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد في ضوء القرآن الكريم د. فهد بن متعب الدوسري

يوم القيامة، وحشرهم إلى جهنم على وجوههم في أسوأ الحالات وأقبح الصفات⁽¹⁾.

يقول السعدي (ت: 1376هـ): " يخبر تعالى عن حال المشركين الذين كذبوا رسوله وسوء مآلهم، وأنهم ﴿يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ في أشنع مرأى، وأفظع منظر، تسحبهم ملائكة العذاب ويجرونهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ الجامعة لك عذاب وعقوبة"⁽²⁾.

وجاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: 90] ما يقارب المعنى والحال التي عليها وجوه الأشقياء يوم القيامة، فإن من جاء بالشرك في ذلك اليوم كُِبَّ على وجهه في نار جهنم⁽³⁾. يقال: كَبِنْتُ الرجل: إذا أَلْقَيْتَهُ لوجهه⁽⁴⁾.

وقريب أيضاً من معنى الآيات السابقة ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: 24] ، وهو أن يُرمى به في جهنم مكبوباً على وجهه فذلك اتقاء ه إياه، أو أن ينطلق به إلى النار مكتوفاً ثم يُرمى به فيها، فأول ما تمس النار وجهه⁽⁵⁾. وقد جاء في التفسير: أن الكافر يُلقى في النار مغلولاً، ولا يتهيأ له أن يتيقها إلا بوجهه⁽⁴⁾.

- (1) انظر: جامع البيان للطبري: 388/8، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: 110/6.
- (2) تيسير الكريم الرحمن للسعدي: ص 531.
- (3) انظر: تفسير عبدالرزاق الصنعاني: 485/2.
- (4) انظر: زاد المسير لابن الجوزي: ص 1055 ، ومعالم التنزيل للبغوي: 184/6.
- وجاء في أضواء البيان الإشارة إلى تقارب هذه الآيات في المعنى، انظر على سبيل المثال: أضواء البيان للشنقيطي: 250/2.
- (5) انظر: معاني القرآن للفراء: 418/2، وجامع البيان للطبري: 630/10، والنكت والعيون للماوردي: 123/5.
- (1) انظر: زاد المسير لابن الجوزي: ص 1229 ، والمحزر الوجيز لابن عطية: 475/5.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ﴾ [القمر: 48]، فالمجرمون لما كانوا في سُعُرٍ وشك وتردد أورثهم ذلك النار، وكما كانوا ضللاً سحبوا فيها على وجوههم لا يدرون أين يذهبون⁽¹⁾.

روي عن مقاتل بن سليمان (ت: 150هـ) أنه قال: "بعد العرض تسحبهم الملائكة، وتقول الخزنة: ﴿ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ﴾"⁽²⁾.

يقول السعدي: (ت: 1376 هـ): "﴿يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾" التـ هي أشرف ما بهم من الأعضاء، وألمها أشد من غيرها، فيهانون بذلك، ويخزون، ويقال لهم: ﴿ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ﴾"⁽³⁾.
والسحب: الجرّ، وهو في النار أشد من ملازمة المكان؛ لأن به يتجدد مماسة نار أخرى لهم فهو أشد تعذيباً، وجعل السحب على الوجوه أعظم وأشد إهانة لهم⁽⁴⁾.

(1) انظر: جامع البيان للطبري: 568/11 ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: 482/7.

(2) تفسير مقاتل بن سليمان: 301/3.

(3) تيسير الكريم الرحمن للسعدي: ص 768.

(4) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: 204/27.

أوصاف وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد في ضوء القرآن الكريم د. فهد بن متعب الدوسري

المطلب الرابع: تقليب الوجوه في النار

وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [الأحزاب: 66].

فلا يجد هؤلاء الكفار ولياً ولا نصيراً في ذلك اليوم الذي تقلب وجوههم في النار حالاً بعد حال ﴿يَقُولُونَ﴾ وتلك حالهم في النار ﴿يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ﴾ في الدنيا، وأطعنا رسوله فيما جاءنا به عنه من أمره ونهيه فكنا مع أهل الجنة في الجنة، يا لها من حسرة وندامة، ما أعظمها وأجلها⁽¹⁾.

جاء في التفسير: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ﴾ أي ظهرأ لبطن حين يسحبون عليها⁽²⁾.

وهذا التقليل في النار على وجوههم يؤدي إلى تغيير ألوانهم بلفح النار، فتسود مرة، وتخضر أخرى⁽³⁾.

فمن شدة ذلك اليوم عليهم، وما يلقونه من عذاب فيه تتغير وجوههم من حال إلى حال، فتتوارد عليها الهيئات القبيحة من شدة الأهوال، أو يوم يلقون في النار مقلوبين منكوسين، وتخصيص الوجوه بالذكر لما أنها أكرم الأعضاء ففيه مزيد تفضيع للأمر وتهويل للخطب⁽⁴⁾.

يقول السعدي (ت: 1376 هـ): "﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ فيذوقون حرّها، ويشتد عليهم أمرها، ويتحسرون على ما أسلفوا"⁽⁵⁾.

ففي ذلك اليوم العظيم لا شفيع معهم، ولا ناصر لهم، حتى إن بعض أعضائهم لا تدفع العذاب عن الأعضاء الأخرى، نعوذ بالله من عذابه ونقمته.

(1) انظر: جامع البيان للطبري: 335/10.

(2) انظر: معالم التنزيل للبيوي: 378/6.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 222/14.

(4) انظر: روح المعاني للألوسي: 268/11.

(5) تيسير الكريم الرحمن للسعدي: ص 619.

المطلب الخامس: ظهور المساءة على وجوههم

وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ

كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ [الملك: 27].

أي فلما رأى المشركون عذاب الله قريباً وعابنوه: ظهرت المساءة على وجوههم كراهة لما شاهدوا، أو ظهر السوء في وجوههم ليدل على كفرهم كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌُ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌُ﴾ [آل عمران: 106] ⁽¹⁾.

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: تبين السوء والكآبة في وجوههم ⁽²⁾.

وجاء أيضاً في تفسيرها ما يشير إلى اقتران السوء والكآبة بالسواد، ومن ذلك قول بعض المفسرين: ﴿سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا

﴾ أي اسودت وعليها كآبة، والمعنى: قبحت وجوههم بالسواد ⁽³⁾. وأصل السوء القبح، والسيئة ضد الحسنة، يقال: ساء الشيء يسوء فهو سيء إذا قُبِحَ، وسيء يساء إذا قبح، وهو فعل لازم ومتعد، فمعنى سيئت وجوههم قبحت بأن علّتها الكآبة والحزن، وغشيتها الكسوف والقثرة، وكلحوا، وصارت وجوههم كوجه من يقاد إلى القتل ⁽⁴⁾.

يقول السعدي (ت: 1376 هـ): " فإذا كان يوم الجزاء ورأوا

العذاب فيهم ﴿زُلْفَةً﴾ أي قريباً، ساءهم ذلك، وأفظعهم، وأقلقهم،

فتغيرت لذلك وجوههم، ووبخوا على تكذيبهم وقيل ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ

تَدْعُونَ﴾ " ⁽⁵⁾.

(1) انظر: جامع البيان للطبري: 172/12، والنكت والعيون للماوردي: 57/6.

(2) انظر: تفسير السمعاني: 14/6.

(3) انظر: معالم التنزيل للبخاري: 180/8.

(4) انظر: مفاتيح الغيب للرازي: 66/30.

(5) تيسير الكريم الرحمن للسعدي: ص 813.

أوصاف وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد في ضوء القرآن الكريم د. فهد بن متعب الدوسري

فهذه جملة من أحوال وجوه الأشقياء يوم القيامة استحقوها بأعمالهم
وأقوالهم السيئة في الدنيا ولقوا الله - عز وجل - على كفرهم وباطلهم
فجازاهم بما يستحقون بعد أن أقام عليهم الحجة وأعطاهم المهلة، فالله
سبحانه عدل لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

الخاتمة

الحمد لله الـ ذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين، وصحابته أجمعين، وبعد:

فقد توصلت في خاتمة هذا البحث إلى جملة من النتائج من أهمها:

1. أفاض القرآن الكريم في ذكر وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد وما ذاك إلا لأهمـ ية الوجه لاحتوائه على أبرز الحواس .
2. يوم القيامة -كما جاء في النصوص والآثار - يوم طويل ليس كأيام الدنيا، ولذلك جاءت أوصاف الوجوه وما يصيبها في ذلك اليوم متعددة ومتنوعة .
3. جاء ذكر أوصاف الوجوه وما يصيبها يوم المعاد في سبع وعشرين آية من تسع عشرة سورة من سور القرآن الكريم .
4. جميع السور التي ذكرت فيها أوصاف الوجوه وما يصيبها يوم العرض والحساب سور مكية عدا أربع سور هي : آل عمران والأنفال والأحزاب ومحمد، وهذا يبرز خصيصة من خصائص السور المكية وهي التركيز على جوانب الإيمان ومنه الإيمان باليوم الآخر وما يحويه من أحوال وأحداث .
5. ذكرت أوصاف وجوه العباد يوم القيامة في أربع عشرة آية من سبع سور .
6. جاءت أوصاف وجوه السعداء في سبع آيات من ست سور هي : آل عمران ويونس والقيامة والمطففين وعبس والغاشية .
7. وجاءت أوصاف وجوه الأشقياء في سبع آيات من ست سور هي : آل عمران ويونس والزمر والقيامة وعبس والغاشية .
8. أورد الله عز وجل في كتابة ما يصيب وجوه الخاسرين يوم القيامة في ثلاث عشرة آية من ثلاث عشرة سورة هي : الأنفال وإبراهيم والإسراء والكهف والأنبياء والمؤمنون والفرقان والنمل والأحزاب والزمر ومحمد والقمر والملك .
9. جاء في القرآن ذكر لما يصيب وجـ وه الخاسرين بشي من البسط والبيان ولم يذكر لوجوه الفائزين إلا جملة من الأوصاف – فيما أعلم- ولعل هذا – والله أعلم – من باب بيان هول الموقف في ذلك اليوم وفيه تخويف للنفوس وتوعية للقلوب، ولأن نعيم المؤمنين

أوصاف وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد في ضوء القرآن الكريم د. فهد بن متعب الدوسري

- الموعود يحوي كثيراً من الغيبات مما لا عين رأت، ولا أذن سمعته، ولا خطر على قلب بشر .
10. أن في ذكر أوصاف وجوه الخلق وما يصيبها يوم القيامة من الترغيب والترهيب ما لا يخفى.
11. السعيد يوم القيامة من جاء وجهه أبيضاً نضيراً مسفراً مستبشراً ناعماً، والشقي من جاء بخلاف ذلك.
12. أن العصاة الأشقياء يأتون يوم القيامة ووجوههم يعلوها من الكآبة والحزن والغبار والسواد ما يعرفون به في ذلك الموقف.
13. أن لوجوه المعاندين يوم القيامة مواقف عظيمة من اتقاء للنار بوجوههم، وسفع النار لها؛ فإن النار - نعوذ بالله منها - تالفح وجوه الخاسرين يوم القيامة فتحرقها.
14. أن من ترك الاستعداد للأخرة، وأثر الحياة الدنيا، فرجحت موازين سيئاته، فذلك الذي غبن نفسه حظها من رحمة الله.
15. أن في سحب الكفار على وجوههم إلى جهنم من الهوان والعذاب ما يدفع العاقل إلى خشية الله والخوف من عقابه.
16. أن العصاة يوم القيامة حين تقلب وجوههم في النار يتحسرون على تركهم طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولكن لات حين مندم.
17. أن ما ناله المؤمنون يوم القيامة من أوصاف كريمة لوجوههم وسائر نعيم الله لهم إنما هو بفضل الله ورحمته، وما ناله العصاة الأشقياء من أوصاف وأحوال سيئة إنما هو بعدل الله سبحانه، فالله - عز وجل - لا يظلم الناس شيئاً.
18. أن من أراد السعادة والفلاح، والفوز والنجاة يوم القيامة فعليه بالاستعداد لها، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْيِدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ

لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ

الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ [الإسراء: 18 - 19] ، فالحياة الحقة هي الحياة الدائمة الباقية كما قال

تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ

الْحَيَاةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ [العنكبوت: 64]

وأخيراً .. فالباحث يوصي بدراسة الآيات التي تتعلق بأحوال يوم القيامة، وما اشتملت عليه من ترغيب وترهيب؛ للكشف عن معانيها ودلالاتها، وإظهار هداياتها للناس، فإن فيها تعميقاً لإيمان المؤمنين، وتوعية لقلوب الغافلين، وهي مجال خصب للبحث والتأمل واستخراج الهدايات والحكم والفوائد والدروس.

وبعد:

فهذا جهد المقل، فما كان من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي وتقصيري، كما أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً له سبحانه، مقرباً لـ مرضاته، سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،
والحمد لله رب العالمين.

أوصاف وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد في ضوء القرآن الكريم د. فهد بن متعب الدوسري

ثبت المصادر والمراجع

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : لأبي السعود محمد بن مصطفى العمادي (ت982) دار إحياء التراث : بيروت، د.ط، د.ت.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول : لمحمد بن علي الشوكاني (ت1250هـ) تحقيق : محمد سعيد البدري، مؤسسة الكتب الثقافية : بيروت، ط1، 1412هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: لمحمد الأمين الشنقيطي (ت1393 هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر: بيروت، ط1، 1401هـ.
- أنوار التنزيل: لعبدالله بن عمر البضاوي (ت791هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- بحر العلوم : لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت393هـ)، تحقيق : د. محمود مطرجي، دار الفكر : بيروت، د.ط، د.ت.
- البحر المحيط: لمحمد بن يوسف بن حيّان الأندلسي (ت745هـ)، تحقيق: عادل عبدالموجود، وعلي بن معوض، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1، 1413هـ.
- التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر بن عاشور (ت1393هـ)، دار سحنون: تونس، د.ط، د.ت.
- التذكرة السعدية في الأشعار العربية: لمحمد بن عبدالرحمن العبيدي، تحقيق: عبدالله الجبوري، مطابع النعمان: النجف، د.ط، 1391هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل: لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت741هـ)، دار الكتاب العربي: لبنان، ط4، 1403هـ.
- تفسير السمعاني: لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني (ت489 هـ)، تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، دار الوطن: الرياض، ط1، 1413هـ.
- تفسير الصنعاني: لعبدالرزاق بن همام الصنعاني (ت211هـ)، تحقيق: د. مصطفى مسلم، مكتبة الرشد: الرياض، ط1، 1410هـ.
- تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774 هـ)، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة: الرياض، ط1، 1418هـ.
- تفسير القرآن العظيم: لأبي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم

- الرازي (ت327 هـ) ، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة
العصرية: صيدا، د.ط، د.ب.
- تفسير مقاتل: لمقاتل بن سليمان البلخي (ت150 هـ) ، دار الكتب
العلمية: بيروت، ط1، 1424هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: لعبدالرحمن بن
ناصر السعدي (ت1376 هـ) ، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط1،
1419هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لمحمد بن جرير الطبري
(ت310هـ)، دار الكتب العلمية: بيروت، ط3، 1420هـ.
- الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي
(ت671 هـ) ، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي:
بيروت، ط4، 1422هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: لجلال الدين السيوطي
(911 هـ) ، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر،
القاهرة، ط1، 1424هـ.
- ديوان الحماسة: لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي (ت231 هـ)،
تحقيق: أحمد بسج، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1، 1418هـ.
- ديوان الفرزدق: لأبي فراس همام بن غالب بن صعصعة الفرزدق
(ت110 هـ) ، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية: بيروت،
ط1، 1407هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لمحمود
بن عبدالله الألوسي (ت1270 هـ) ، دار الكتب العلمية: بيروت،
د.ط، 1415هـ.
- زاد المسير في علم التفسير: لعبدالرحمن بن علي بن الجوزي
(ت597 هـ) ، المكتبة الإسلامية ودار ابن حزم: بيروت، ط1،
1423هـ.
- شرح الكوكب المنير: لمحمد بن احمد الفتوحي الحنبلي،
المعروف بابن النجار (ت972هـ)، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه
حماد، جامعة أم القرى: مكة المكرمة، ط1، 1400هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: لإسماعيل بن حماد
الجوهري (ت393هـ)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم
للملايين: بيروت، ط4، 1990م.
- صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت256 هـ) ، تحقيق:
د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير: بيروت، ط3، 1407هـ.

أوصاف وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد في ضوء القرآن الكريم د. فهد بن متعب الدوسري

- **صحيح مسلم:** لمسلم بن الحجاج القشيري (261 هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، د.ب.
- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان:** للحسن بن محمد النيسابوري (ت728 هـ)، تحقيق: زكريا عميران، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1، 1416 هـ.
- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير:** لمحمد بن علي الشوكاني (ت1250 هـ)، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، دار الوفاء: المنصورة، ط2، 1418 هـ.
- **القاموس المحيط:** لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت817 هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة ودار الريان للتراث: بيروت، ط2، 1407 هـ.
- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت538 هـ)، تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي معوض، مكتبة العبيكان: الرياض، ط1، 1418 هـ.
- **الكشف والبيان:** لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي (ت427 هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط1، 1422 هـ.
- **اللباب في علوم الكتاب:** لعمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (ت بعد 880 هـ)، تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية: بيروت، ومكتبة عباس الباز: مكة المكرمة، ط1، 1419 هـ.
- **لسان العرب:** لمحمد بن مكرم بن منظور (ت711 هـ)، دار صادر: بيروت، د.ب.
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** لعبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت541 هـ)، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافى محمد، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1، 1413 هـ.
- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل:** لعبدالله بن أحمد النسفي (ت710 هـ)، دار إحياء الكتب العربية: لبنان، د.ب.
- **معالم التنزيل:** للحسين بن مسعود البغوي (ت516 هـ)، تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرون، دار طيبة: الرياض، ط4، 1417 هـ.
- **معاني القرآن:** لسعيد بن مسعدة البلخي (الأخفش الأوسط) (ت215 هـ)، تحقيق: د.فائز فارس، طبعة المحقق، ط2، 1401 هـ.

- **معاني القرآن:** ليحيى بن زياد الفراء (ت207هـ) ، عالم الكتب: بيروت، ط3، 1403هـ.
- **المعجم الوسيط:** لإبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة: الإسكندرية، د.ط، د.ت.
- **معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم:** للراغب الأصفهاني (ت503هـ) ، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الفكر: بيروت، د.ط، د.ت.
- **معجم مقاييس اللغة:** لأحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر: بيروت، د.ط، 1399هـ.
- **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير):** لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت606هـ)، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1، 1421هـ.
- **النكت والعيون:** لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت450هـ) ، راجعه وعلق عليه: السيد عبدالمقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية: بيروت، د.ط، د.ت.

أوصاف وجوه العباد وما يصيبها من نعيم وعذاب يوم المعاد في ضوء القرآن الكريم د. فهد بن متعب الدوسري
